القواعد» المعترف بها في المنطقة، والقائمة على أساس «مبدأ بيغن» القائل بعدم السماح لأية دولة عربية بتطوير سلاح نووي. وهنا، بالذات، تكمن أهمية المعلومات التي كُشفت، مؤخراً، عن مساعي العراق الى تطوير قدراته النووية، والتي من شأنها، لو قدّر لها النجاح، ان تخلق توازناً جديداً في المنطقة يحرم اسرائيل من تفوّقها العسكري المطلق (عمانوئيل روزن، **معاريف**، ٦/٤/١٩٩٠).

المدفع العملاق

الى جانب الجهود المتواصلة من اجل الحصول على اسلحة وذخائر غير تقليدية (جرثومية وكيميائية ونووية) تبذل الدول المعنيّة جهوداً مساوية من اجل تطوير وسائل حديثة بالغة الدقّة والسرعة والكفاءة، لايصال هذه القنابل الى اهدافها. وفي هذا المجال، تحتل الطائرات حاملة القذائف والصواريخ بعيدة المدى والمدفعية المتطوّرة أهمية خاصة. ومن هنا، أيضاً، يمكن فهم الحساسية الخاصة التي تبديها اسرائيل تجاه أية محاولة عربية لتحقيق تقدّم استراتيجي، أو تطوير امكاناتها الخاصة، وحرصها على احباط هذه المحاولات، كما ظهر، مؤخراً، في حادثة «المدفع العملاق».

بعد اسبوعين من مصادرة الكبسولات الالكترونية في مطار هيثرو البريطاني، أعلنت سلطات الجمارك في ميناء ميدلزبورو، بتاريخ ١١/٤/١٩٩٠، انها قامت بايقاف تصدير شحنة من الانابيب الفولاذية الضخمة (عددها ثمانية) الى العراق، بحجّة انها قد تستخدم لبناء مدفع عملاق. وصدرت الصحف الاسرائيلية، بتاريخ ١٣/٤/١٩٩٠، حافلة بمختلف التفاصيل عن «المدفع العملاق» وعلاقة د. بول، الذي قتل قبل ثلاثة أسابيع في بروكسل، بتطوير ذلك المدفع لحساب العراق. ان دور جهاز المخابرات الاسرائيلية (الموساد) لا حاجة الى تأكيده، سواء بالنسبة الى مقتل العالم الكندي الاصل، الاميركي الجنسية، او الكشف، في الوقت المناسب، عن المعدّات الالكترونية والانابيب الفولاذية المتجهة الى العراق، أو تسريب المعلومات المناسبة لأجهزة الاعلام العالمية. والواضح ان عملية الكشف هذه، التي تمّت بتنسيق تام، ووثيق، مع المخابرات الاميركية، والبريطانية، كانت تهدف، ضمن امور أخرى، الى ردع الشركات الاجنبية عن مواصلة التعاون مع العراق في جهوده العسكرية والعلمية. ويتضح من المعلومات المتوفّرة لدى الصحف الاسرائيلية ان د. بول، المولود في اونتاريو ـ كندا قبل ٦٢ عاماً، هو احد أكبر الخبراء في العالم في مجال المدفعية، وتطويرها. وكان، في الستينات، عمل مع الجيش الاميركي في مشروع Harp 1, 2 لتطوير مدفع فضائي قادر على اطلاق قذيفة، وزنها بضعة مئات من الكيلوغرامات، الى مدار فضائي. وتمّت تجربة هذا المدفع فعلاً، وبنجاح، في قاعدة اميركية للتجارب في جزيرة باربادوس الكاريبية، وفي كندا. الّا ان اهتمام الجيش الاميركي، آنذاك، بتطوير الصواريخ بعيدة المدى، وعابرة القارات، ادّى الى اهمال هذا المشروع، وبالتالي الى توجيه جهود العالم الكندي باتجاه جنوب افريقيا، التي طوّر لحسابها مدفع جي ـ ٥، والذي بيع، لاحقاً، الى العراق. وعلى اثر حرب العام ١٩٧٣، وجّهت اسرائيل دعوة الى د. بول لالقاء سلسلة من المحاضرات لجمهور من العسكريين والمدنيين عن آخر ما توصّل اليه في مجال تطوير المدفعية. واستمر التعاون بينه وبين اسرائيل سنوات عدّة، تمكّنت الاخيرة، خلالها، من تطوير سلاح المدفعية لديها، وادخال تحسينات هامّة للغاية على مدى القذائف المدفعية التي يستخدمها الجيش الاسرائيلي، وذلك باعتراف اللواء (احتياط) ابراهام بار ـ دافيد، ضابط المدفعية الرئيس سابقاً. الّا ان خشية الشركة الكندية ـ الاميركية لبحوث الفضاء (S.R.C.) التي كان يعمل معها د. بول من خسارة عقودها مع عدد من الدول العربية، كالسعودية ومصر، أدّى الى قطع العلاقة مع اسرائيل، واستمرارها، في المقابل، مع جنوب افريقيا. وهنا، أيضاً، واجه العالم الكندي بعض المتاعب، بسبب الحظر المفروض من جانب الولايات المتحدة الاميركية على التعامل مع دولة جنوب افريقيا العنصرية. وواجه د. بول حكماً بالسجن لمدة عام، نفّذ ستة شهور منها فعلياً. وبعد خروجه من السجن، انتقل الى بلجيكا ليواصل بحوثه العلمية، وجهوده في مجال تطوير سلاح المدفعية، وتسويق منتجات شركته الى مختلف انحاء العالم. وفي العام ١٩٨٨، أصدر د. بول، بالاشتراك مع صديقه القديم تشارلز مورفي، كتاباً ضمّنه خلاصة